١كو ٩: ١-٢٧

عندما يتعارض الحقّ والواجب في خدمة المسيح

القس عيسى دياب

كان بولس قد بدأ، في الفصل الثامن، الإجابة على سؤال كان المؤمنون في كورنتس قد طرحوه عليه في رسالة وجّهوها إليه أو بواسطة عائلة خلوة، وهو التالي: «هل يحق للمسيحي أن يأكل من الذبائح التي تُقَدَّم للأوثان ثمّ تباع في الملحمة؟» كان جواب الرسول: نعم، يحق له، لأن لا كيان للوثن لكي نحسب له حسابا، إنما، لأن البعض لا يملكون هذه المعرفة، وضمائرهم ليست متحررة من هذا القيد، فتجرح ضمائرهم لرؤية هذا الفعل، على المسيحي أن يضحي بحريته وحقه الشرعي في هذا المجال لتحاشي جرح ضمير المسيحيين الضعفاء. ويتوصل بولس إلى قاعدة مفادها أن المسيحي حر في حقوقه الشرعية، لكن الأفضل هو أن يتنازل عنها، إذا كان التمتع بها يهدد **مصلحة الخدمة**.

١. شرح النص البيبلي:
حق الرسول وواجب الجماعة

في الفصل التاسع، يطبق بولس هذه القاعدة على نفسه وعلى برنابا رفيقه في الخدمة، إذ كانا معا في الرحلة التبشيرية الأولى، فيعدد اثنين من حقوقهما الشرعية، كرسولين وخادمين ليسوع المسيح، التي لا يخطئا أبدا إن تمتعا بهما: ١) حق الزواج واصطحاب زوجتيهما معهما في تجوالهما المرسلي، ٢) وحقهما أن يعيشا على نفقة الكنائس التي يخدمانها، ويخص بالذكر كنيسة كورنتس (آ ١-٦). ثم يترك بولس الكلام على الحق الأول ليركز على الثاني حتى نهاية الفصل التاسع.

للتأكيد على حقه بالعيش على نفقة الكنيسة، يستحضر بولس أمثلة مألوفة: «من هو الذي يحارب والنفقة عليه؟ من هو الذي يغرس كرما ولا يأكل من ثمره؟ من هو الذي يرعى قطيعا ولا يأكل من لبنه؟» (آ ٧). ولكي لا يكون كلامه مستندا على مجرد حكمة بشرية، يدعم بولس فكرته باقتباسات وصور من العهد القديم: «جاء في شريعة موسى : لا تكم الثور على البيدر وهو يدرس الحصاد... ومعناه: على الذي يفلح الأرض والذي يدرس الحبوب أن يقوما بعملهما هذا على رجاء أن ينال كل منهما نصيبه منه، فإذ كنا زرعنا فيكم الخيرات الروحية، فهل يكون كثيرا علينا أن نحصد من خيراتكم المادية؟» (آ ٩-١١؛ رج تث ٢٥: ٤) ؛ «ألا تعرفون أن من يخدم الهيكل يقتات من تقدمات الهيكل، وأن من يخدم المذبح يأخذ نصيبه من الذبائح؟» (آ ١٣؛ رج لا ٧: ٢٨-٣٤؛ تث ١٨: ١-٣)، إلى أن يضع القانون بوضوح: «**هكذا أمر الرب للذين يعلنون البشارة أن ينالوا رزقهم من البشارة**» (آ ١٤)؛ وبقوله «هكذا أمر الرب» ربما يشير بولس إلى تعليم أعطاه الرب يسوع المسيح في الأناجيل، (رج مت ١٠: ١٠ ولو ١٠: ٧). يظهر من الآية ١٢، أن أحدهم كان يتمتع بهذا «الحق» في كنيسة كورنتس ويقول بأنه هو أولى به، لكن إصراره عليه سيضعه في مواجهة مع الكنيسة أو مع هذا الشخص المستفيد منها أو مع الذين ينكرون عليه هذا الحق، ولربما يُتَّهم بأنه مادي إذا تمتع به، فيسلبونه فخره بالخدمة وبريق مجد الكرازة بالإنجيل. ولأن هذا الإصرار وهذه المواجهات تضر بسمعته وبرسالته وروحانيتها وقدسيتها، يقول: «**ولكننا ما استعملنا هذا الحق ، بل احتملنا كل شيء لئلا نضع عقبة في طريق البشارة بالمسيح**» (آ ١٢ب). لقد وضع بولس

أول أولوياته «البشارة بالمسيح»، وهو مستعد أن يضحي بأي حقوق إذا كان التمتع بها يسيء إلى هذه الأولوية. في الآيات ١٥-١٨، يوضح بولس أن «البشارة بالمسيح» هي ضرورة (دعوة ملحة) ووكالة تسلمها من الله؛ ليست عملا إراديا اختاره بنفسه حتى تترتب عليه أجرة. ويعتبره بولس فخرا (طبعا أمام الناس) أن يبشر بالمسيح دون أجر مادي، وهو لا يريد أن يطالب بنفقة مادية لئلا يعطل أحد فخره هذا. أجرته الحقيقية هي أن يبشر بالمسيح مجانا. في الآيات ١٩-٢٣ يصرح بولس بأنه، بكامل إرادته، تنازل عن حقوقه وحريته: «صرت للناس كلهم كل شيء لأخلص بعضهم بكل وسيلة» (آ ٢٢). في الآيات ٢٤-٢٧ يشبّه بولس عمل «الكرازة بالإنجيل» بمباريات رياضية، ويستنتج أنه، كما يضبط المتمرنون أنفسهم لجهة الطعام والشراب والتمارين، فيتبعون حمية دقيقة وصارمة، ويمارسون تمارين قاسية من أجل الحصول على «إكليل يفنى»، هكذا هو يضبط نفسه في كل شيء من أجل الحصول على «إكليل لا يفنى».

كيف كان بولس يغطي نفقات معيشته؟ كان يشتغل في صناعة الخيام، وقد عمل لفترة عند أكيلا وبريسكله اللذَين كانا يُمارسان نفس المهنة (أع ١٨:٣)، واستطاع بهذه الطريقة أن يغطي نفقاته وفريقه المرسلي. قال مرة لقسس كنائس أفسس: «ما اشتهيت يوما فضة أحد أو ذهبه أو ثيابه، وأنتم تعرفون أني بهاتين اليدين اشتغلت وحصلت على ما نحتاج إليه أنا ورفاقي» (أع ٢٠: ٣٣-٣٤). هذا لا يعني أن بولس لم يقبل أبدا تبرعات من الكنائس، لكنه امتنع عن طلب المساعدات، وخاصة من كنيسة كورنتس، للأسباب المحتملة المذكورة أعلاه. كان بولس قد كتب إلى نفس الكنيسة ما يلي: «ولا نزال إلى هذه الساعة نعاني الجوع والعطش والعري والضرب والتشرد، **ونتعب في العمل بأيدينا**» (١كو ٤: ١١-١٢). وكتب إليهم أيضا في الرسالة الثانية: «فهل أخطأت حين حملت إليكم مجانا بشارة الله، وأذللت نفسي لترتفعوا أنتم؟ حرمت كنائس أخرى وأخذت منها النفقة لخدمتكم، وما ثقلت على أحد منكم حين كانت بي حاجة وأنا بينكم، فالإخوة الذين جاؤوا من مكدونية سدوا حاجتي. وهكذا حرصت أن لا أثقل عليكم في شيء وسأحرص أيضا» (٢كو ١١: ٧-٩؛ رج في ٤: ١١-١٨).

حياةُ بولس عطاءٌ متواصلٌ وسخيّ، حتّى الجود بالنفس

(مذبح فرعي في كاتدرائيّة مونريال، صقلّية، إيطاليا)

٢. عندما لا يتلاقى الحق والواجب

نعم، للرسول حق النفقة على الكنيسة، لكن ماذا لو لم تتمكن جماعة المؤمنين من تأمين معيشة الرسول لسبب ما؟ ألخص فيما يلي القاعدة التي اتبعها بولس:

أ. واجب على الكنائس التي أسسها ويخدمها أن تساهم في نفقات خدمته المرسلية، وهذا أيضا حق له عليها.

ب. هو لا يخدم الكنائس بهذا الغرض، والأهم من النفقة عنده نفوس الناس الذين يخدمهم: «... لن أثقل عليكم، **فأنا أريدكم أنتم لا مالكم**» (٢كو ١٢: ١٤).

ج. هو مستعد أن يقبل تبرعات الكنائس بشكر وامتنان في حال أرسلت إليه.

د. هو مستعد أن يتنازل عن حقه بالنفقة تجاه الكنيسة وعن أي حق آخر في حال سبب هذا الحق عائقا لخدمته من أي نوع كان.

ه. في حال قصرت الكنائس بواجبها تجاهه لسبب ما، فهو مستعد أن يشتغل بيديه ليكفي حاجاته وحاجات فريقه المرسلي، كما أنه تعلم درس الجوع والحاجة في حال اقتضت الضرورة، والمهم عنده أن تستمر خدمته : «... لأني تعلمت أن أقنع بما أنا عليه. فأنا أعرف أن أعيش في الضيقة، كما أعرف أن أعيش في السعة، وفي جميع الظروف اختبرت الشبع والجوع، الفرج والضيق ، وأنا قادر على تحمل كل شيء بالذي يقويني» (في ٤: ١١-١٣).

و. يعتبر بولس الخدمة ضرورة موضوعة عليه بفعل دعوة الله، وليست وظيفة تحتم عليه القيام بعمل ما مقابل أجر محدد، وإن توقف الأجر يتوقف معه أيضا العمل.

٣. الخدمة المسيحية والتضحية بالحقوق

لا ننكر أن للخادم المسيحي حقوقا مادية على جماعة الكنيسة التي يخدمها، وعلى الجماعة واجبات نحوه أيضا، ونحن لسنا هنا بصدد بحث واجبات الكنيسة بقدر ما نركز على نظرة الخادم إلى هذه الحقوق. إن نظر الخادم إلى خدمته من زاوية الحقوق المادية يصيّر الخدمة وظيفة، وتنشأ حينئذ علاقة قياسية بين كمية العمل ومقدار الأجر، وهذا يسلب الخدمة الروحية روحانيتها وقدسيتها وسموها. غير أن طبيعة العلاقة بين الخادم والكنيسة ليست وظيفية، بل هي، قبل كل شيء، تلبية لدعوة الله، والخادم في خدمته يتمم الدعوة الإلهية. عمله ذات طابع إلهي، بالرغم من أنه يعمل ضمن نظام كنسي، وعليه أن يحترمه ويخضع له، فهو يعمل عند الله إذا صح التعبير. قال بولس عن نفسه وعن أبلوس: «فنحن شركاء في العمل مع الله...» (١كو ٣: ٩). ولأن هذه الدعوة على قدر كبير من القدسية، فبولس يعلن عن استعداده لينسى حسبه ونسبه وامتيازاته في سبيل تحقيقها: «... ولكن يهمني أمر واحد، وهو أن أنسى ما ورائي وأجاهد إلى الأمام، فأجري إلى الهدف، للفوز بالجائزة التي هي دعوة الله السماوية في المسيح يسوع» (في ٣: ١٣-١٤). هذه «الدعوة السماوية» هي طبعا دعوة إلى الحياة الأبدية، ودعوة إلى خدمة الله لخلاص البشر. ويعبر بولس عن نفس الفكرة لقسوس كنائس أفسس: «ولكنني لا أحسب أن حياتي لها أية قيمة عندي، ما دمت أقوم بمهمتي وأتمم العمل الذي تسلمته من الرب يسوع، فأنادي ببشارة نعمة الله» (أع ٢٠: ٢٤). إن من شروط تتميم الدعوة هو التخلي عن كل روح مادية حيال روحانية هذا العمل. أنا أفهم إنسانا عاديا طامحا إلى زيادة دخله، وزيادة الممتلكات ووسائل الراحة والتمتع بالحياة، ويضع هذا جل أهدافه، لكنني لا أستطيع أن أدرك أن خادما للمسيح، نذر نفسه لتحقيق دعوة الله العليا، يطمح إلى هذه الأمور عينها، فيطالب دائما «بأجر» لقاء قيامه بخدمات دعوته. من غير الطبيعي أن ينتظر خادم المسيح أن يجني من خدمته ما قد يجنيه من عمل آخر دنيوي، لأن مَن قَبل دعوة الله يكون قد قرر التضحية برفاهية الحياة، وترفع عن ماديتها إلى مجد روحانية خدمته، وعنده إيمان أن الله سيبقى أمينا، فيؤمّن له حاجات العيش المادية، بل ومستعد أن يقنع بالقليل ويقاسي الحاجة إذا كانت الحاجة المادية مدرسته الإلهية.

كخدام لله، قبلنا الخدمة كدعوة سماوية، أصبحت أهدافنا وطموحاتنا أيضا سماوية، على حد قول الرسول بولس: «فاسعوا إلى الأمور التي في السماء... اهتموا بالأمور التي في السماء، لا بالأمور التي في الأرض» (كو ٣: ١-٢). نعم، لنا حقوق شرعية كباقي الناس، لكن سمو الدعوة وثقلها علينا يجعلاننا نضحي بكل الحقوق ونتنازل عن كل الامتيازات «لئلا نجعل عائقا لإنجيل المسيح». قدرنا نحن خدام الكنائس الشرقية أن نعمل وسط جماعة غير مدركة واجباتها وغير مدربة على العطاء الذين يعتبرون الدين «بلاش». أنترك الخدمة إلى أعمال أخرى؟ أنطالب على حساب قدسية الرسالة؟ أنهاجر؟ كلا، بل نتنازل ونضحي ونتحمل و«نُنفِق ونُنفَق» في الخدمة متكلين على أمانة الذي دعانا لتأدية الشهادة المسيحية في هذا الشرق حيث لن تبقى وتقوم الرسالة المسيحية إلا بقوة الله وتضحيات المسيحيين الملتزمين، إبتداء من الخدام.